السنة الثامنة عشرة من الهجرة

وتُسمّى عامَ الطَّاعون، وعامَ الرمادة، تفانى فيه الناس. قال الجوهري: وطاعون عَمْواس أولُ طاعونٍ كان في الإسلامِ بالشام، والطاعون: الموتُ [الوَحيُّ] في الوَباء[١].

وعَمْواس: قريةٌ من قُرى الساحل في الأَطْرُون معروفة.

وقال هشام[٢]: مات بطاعون عَمْواس في الشام ثلاثون ألفاً، وقيل: خمسةٌ وعشرون ألفاً.

ولما وقع كتب عمر رضوان الله عليه إلى أبي عبيدة ﷺ: أما بعد، فقد عرض لي أمرٌ، وأُريد أن أُشافِهَك به، فعزمتُ عليك إذا نظرتَ في كتابي هذا ألا تضعه من يديك حتى تَقدم عليّ، وإنما أراد أن يُخرجه من الوباء، فعرف أبو عبيدة مَقصودَه، فكتب إليه: إني قد عرفتُ حاجتَك، وإني في جُندٍ من المسلمين، لا أجدُ بنفسي رغبةً عنهم، فلستُ أُفارقَهم حتى يَقضي الله فيَّ وفيهم أمرَه وقضاءَه، فحلِّلني من عَزمتك، فلما قرأ عمر ﷺ كتابَه بكى، فقال الناس: أماتَ أبو عبيدة؟! قال: لا[٣].

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن شَهْر بن حَوْشب الأشعري، عن رجلٍ من قومه كان قد خلف على أُمِّه بعد أبيه، وكان قد شهد طاعون عَمْواس قال: لمّا اشتعل الوجعُ، قام أبو عُبيدَة خطيباً فقال: أيُّها الناسُ، إنَّ هذا الوجعَ رحمةٌ من ربكم، ودعوةُ نبيِّكم، وموتُ الصالحين قبلكم، وإنَّ أبا عُبيدة يسألُ الله أن يَقسمَ له حظًّا منه.

قال: فطُعِن فمات، واستُخلف على الناس معاذ بنُ جبل، فقام خطيباً بعده فقال: أيّها الناسُ، إن هذا الوجعَ رحمةٌ من ربكم، ودعوةُ نبيّكم، وموتُ الصالحين قبلكم، وإنَّ مُعاذاً يسألُ الله أن يقسِمَ لآلِ مُعاذٍ حظًّا منه. قال: فطُعِنَ ابنُه عبد الرحمن فمات،

---

(١) الصحاح (عمس، طعن)، وما بين معكوفين منه.

(٢) من قوله: والطاعون الموت... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٣) تاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٣١٣ـ٣١٥، ومن قوله: ولما وقع كتب... إلى هنا ليس في (ك).

ثم قام فدعا ربَّه لنفسِه، فطُعِنَ في راحته فلقد رأيتُه ينظر إليها، ثم يُقَبِّلُ ظهر كفِّه، ثم يقول: ما أُحبُّ أنَّ لي بما فيك شيئاً من الدنيا، ومات.

فاستُخلف على الناس عمرو بنُ العاص، فقام فينا خطيباً فقال: أيُّها الناسُ، إن هذا الوَجعَ إذا وقع اشتعلَ اشتعالَ النار، فتحيَّزوا منه في الجبالِ، فقال له أبو واثِلة الهُذَلي: كذبتَ، ولقد صحبتُ رسولَ الله ﷺ وأنتَ شرٌّ من حماري هذا! فقال: والله ما أردُّ عليك، ولا نُقيمُ عليه. ثم خرج، وخرج الناسُ، فتفرقوا عنه، ورفعه الله عنهم. قال: وبلغ عمر بنَ الخطاب ذلك من رأي عمرو، فواللهِ ما كَرِهه[1].

وقيل: إن القائل لعمرٍو ذلك شُرَحْبيل بن حسنة، وسنذكره.

وقال الواقدي: أول ما ظهر الطاعون من قريةٍ بالساحلِ يُقال لها: عَمْواس، نبع الماء من بئرها، مات من المسلمين في شهرٍ واحدٍ خمسةٌ وعشرون ألفاً، ماكان أحدٌ يقول لأحدٍ: كيف أصبحتَ ولا كيف أمسيتَ، وكان القبرُ يُرمى فيه جماعة، وعلَّق عمرو بنُ العاصِ بعمود خِبائه سبعين سيفاً، كلّها وَرِثه عن كَلالةٍ، أو لا عن كلالة، وطمع العدوُّ في المسلمين.

واختلفوا في أيِّ سنةٍ كان الطاعونُ على أقوالٍ: أحدُها في هذه السنة، ذكره الواقدي، والثاني في سنة سبع عشرة، قاله سيف، والثالث في سنة عشرين، والأوَّل أَشهر. وسنذكر أعيانَ مَن مات في هذه السنةِ في آخرها.

فصل[2] حديثُ الغار الذي وُجد بجبل لبنان

روى أبو الفضلِ بن ناصر بإسناده إلى الهيثم بن عدي قال: افتُتح غارٌ في جبل لبنان، فإذا فيه رجلٌ مُسَجًّى على سريرٍ من ذهبٍ، وإلى جانبِه لوحٌ من ذهبٍ مكتوب عليه بالرومية: أنا سابا بن بوناس بن سابا، خدمتُ العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليلِ الربِّ الأكبرِ، وعشتُ بعده دهراً طويلاً ورأيتُ عجباً كثيراً، فلم أرَ أعجب من غافلٍ عن الموت وقد عاين مصارعَ آبائه، ووقف على قُبور أحبّائه، وعلم أنه صائرٌ إليهم لا

(١) مسند أحمد (١٦٩٧).

(٢) من قوله: واختلفوا في أي سنة... إلى هنا ليس في (أ) (خ).

محالة، والذي بعد الموت من حساب الديّانِ أعظمُ. حفرتُ قبري هذا بيدي قبل أن أصير إليه بمئةٍ وخمسين عاماً، ووضعتُ سريري هذا فيه، وقد علمتُ أن الجفاةَ الأَجلاف يخرجوني من غاري، ويُنزلوني عن سريري، وهم يومئذٍ مُقِرُّون بربوبيّة الديّان الأعظم، وعند ذلك يتغيَّرُ الزمان، ويتأمَّرُ الصبيانُ، ويكثر الحَدَثان، ويظهرُ البُهتان، فمَن أدرك ذلك الزمان عاش قليلاً ومات ذليلاً، وبكى كثيراً، ولابُدَّ مما هو كائن أن يكون، والعاقبةُ للمتّقين، وقد رأيتُ الثلج نازلاً على هذا الجبلِ في تموز مراراً، فإن رأيتُم ذلك، فلا تَعجبوا[1].

فصل: وفيها أصاب جماعةٌ من المسلمين من الشَّراب بالشام، فسألهم أبو عبيدة: كيف تأوَّلتموه؟ فقالوا: تأوَّلنا قولَه تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة: ٩١] فقد خيّرنا فاخترنا شُربه، فكتب أبو عبيدة فيهم إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه: اسألهم، فإن زعموا أنها حلالٌ فاقتُلهم، وإن زعموا أنَّها حرامٌ فاجلدْهم ثمانين، فسألهم فاعترفوا أنها حرامٌ، فجلد كلَّ واحدٍ ثمانين، ثم قال عمر: لَيَحدُثَنَّ في هذا العام حادث، فحدث القحطُ والجوعُ والطاعون.

وقال هشام: إنَّما حدث الطَّاعون بالشام لأجلِ هؤلاء الذين شربوا الخمر، وكان فيمن شرب أبو جندل.

وفيها أَجدبتِ الأرضُ فكانت تَسفي الريحُ تُراباً كالرَّماد، فسُمّي عام الرمادة، واختلطت الوحوشُ بالإنس، فصارت تَأوي إليهم.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن حزام بن هشام، عن أبيه قال: لمَّا صَدر الناسُ من الحجّ سنة ثماني عشرة أصابَ الناسَ جَهدٌ شديدٌ، وأجدَبت البلادُ، وهلكت الماشيةُ، وجاع الناسُ وهلكوا، حتى كان الناسُ يُرَوْن يَستقُون الرُّمَّةَ، ويَحفرون نُفَق اليرابيع والجُرذان يُخرِجون ما فيها.

قال: وقال الواقدي فيما حكاه عن أشياخه: إنما سُمّي عامَ الرَّمادة لأن الأرضَ كلَّها صارت سوداء، فشُبِّهت بالرَّماد، وكانت تسعةَ أشهر[2].

---

(١) المنتظم ٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٨.

وكان عمر يُصلّي الليل كلَّه، فإذا كان السَّحَرُ بكى وقال: اللهمَّ لا تجعلْ هلاكَ أمَّةِ محمدٍ على يديّ، أو على رجلي.

وآلى عمرُ أنْ لا يذوقَ لحماً ولا سَمناً حتى يَحيا الناسُ، وكان يأكلُ الزيتَ فيُقَرْقِرُ جَوفُهُ فيقول: قَرْقِر، فوالله لا تأكلُه حتى يَأكُلَه الناسُ.

وقال الواقدي: حدثني أُسامةُ بنُ زيدٍ، عن نافعٍ مَولى الزبير قال: سمعتُ أبا هُريرة يقول: رحم اللهُ ابن حَنْتَمة، لقد رأيتُه عامَ الرَّمادة وإنه ليَحملُ على ظهره جرابَيْن وعُكَّةَ سمنٍ أو زيتٍ في يده، وإنَّه ليَعْتَقِبُ هو وأَسلم، فلما رآني قال: من أين؟ قلتُ: من ها هُنا قريباً، قال: فأخذتُ أُعقِبهُ، فحملْناه حتى انتهينا إلى صِرار، فإذا صِرْم نحوٌ من عشرين بيتاً، فقال: ما أَقدَمكم؟ قالوا: الجهدُ، وأخرجوا لنا جلدَ الميتة مشويًّا يأكلونه، ورِمَّة عظامٍ مَسحوقة يَستفّونها، فطبخ لهم عمر، وأطعمهم حتى شبعوا، وأرسل إلى المدينة، فجيء بأربعة أَبعِرةٍ، فحمل عليها ما يُصلحهم، وكساهم، وكان يَختلفُ إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك.

قال: وقال الواقدي: وحدثني عبد الله بن يزيد، عن عِياض بن خَليفة قال: رأيتُ عمر عامَ الرَّمادة وهو أسود اللون، ولقد كان أبيض اللون، أكل الزيت فتغيَّر لونُه.

وقال الواقدي عن بعض نساء عمر قالت: ما قَرُب عمر امرأةً زمان الرَّمادة حتى أحيا الناس.

قال: وقال الواقدي: نظر عمر إلى بطّيخةٍ في يد بعض أولاده، فقال عمر: بَخْ بَخْ يا ابن أمير المؤمنين، تأكلُ الفاكهة وأُمَّة محمدٍ هَزْلى؟ فخرج الصبيُّ هارباً، فقالت أُمُّه: اشتراها بكفٍّ من نَوى.

وقال الواقدي: حدثني عبد الله بن عمر، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: كتب عمر إلى عمرو بن العاص عام الرمادة: من عبد الله أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي، أما بعد أفتُراني هالكاً ومَن قِبَلي وتعيشُ أنت ومَن قِبَلك؟ واغَوْثاه، قالها ثلاثاً[1].

وكتب إلى أُمراء الأجناد والشام والعراق كذلك، فجاءته الأمدادُ والمِيرةُ من بعد،

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٨ـ٢٩٤.

وكانت مدّة الجهد تسعة أشهر.

حديث استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس

روى سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف، عن عبد الرحمن بن كعب قال: أقبل بلالُ بن الحارث المزنيُّ إلى عمر فقال: أنا رسولُ رسول الله ﷺ إليك؛ إنَّه يقرأ عليك السلامَ ويقول لك: لقد عَهِدتُك كَيِّساً، فما شأنُك؟ قال: فخرج عمر فصعد المنبرَ ونادى: الصلاة جامعةٌ، فاجتمع الناسُ فقال: أَنشُدُكم الله، هل تعلمون مني أمراً غيرُه خيرٌ منه؟ قالوا: اللهمَّ لا، قال: فإن بلالَ بنَ الحارث يقول ذَيَّة وذَيَّة، قالوا: صدق بلال، فاستَغِث إلى الله بالطلب والاستسقاء، فقال عمر: الله أكبر! بلغ البلاءُ مُدَّتَه؛ ما أُذِنَ لقومٍ في الطلب إلّا وقد رُفع عنهم البلاء. ومعنى ذَيَّة وذَيَّه، أي: كَيْتَ وكَيتَ[1].

فخرج إلى المصلَّى، فصلّى ركعتين واستسقى، وأخذ بيد العباس رضي الله عنه وقال: اللهمَّ إنا نَتقرَّب إليك بعمِّ نبيِّك ونَستشفع به، فاحفَظْ به نبيَّك كما حفظتَ الغُلامَيْن بصلاح أبيهما، وقد أتيناك مُستغفِرين ومُستشفعين، اللهمَّ إن الرَّاعي لا يُهمل الضالّة، ولا يَدع الكَسير بدار مَضِيعة، وقد ضَرع الصغير، ورقَّ الكبير، وارتفعت الشكوى، وعَظُمت البَلوى، وأنت تعلم السِّرَّ والنَّجوى، اللهمَّ فأَغِثْهم بغياثك من قبل أن يَقنطوا فيَهلكوا، فإنه لا يَيأس من رَوح الله إلا القومُ الكافرون، فنشأت طَريرةٌ من سحاب، فقال الناس: تَرون تَرون! ثم تلاءمت واستَتَمَّتْ، ثم هَدرت ودَرَّت، فوالله ما بَرحوا حتى اعتقلوا الحِذاء، وقَلَّصوا المآزر، والعباس رضي الله عنه يبكي، وعيناه تَنضحان، فطَفِق الناس يَمسحون أركانَه ويقولون: هنيئاً لك يا ساقي الحرمَيْن.

قال الفضل بن عُتبة بن العباس بن أبي لهب: [من الطويل]

بعمّي سقى الله الحجازَ وأهلَه ... عَشِيَّةَ يَستسقي بشَيبته عُمرْ
توجَّه بالعباس في الجَدْب راغباً ... فما كرَّ حتى جاء بالدِّيمة المطرْ[2]

وقال هشام: ذبح رجلٌ من مُزَينةَ شاةً، فسلخها عن عظمٍ أحمر فنادى: وامحمَّداه

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٩٨ـ٩٩، والمنتظم ٤/ ٢٥٠.

(٢) تاريخ دمشق (عبادة ـ عبد الله بن ثوب) ١٨٧ و ١٨٩، ومن قوله: فخرج إلى المصلَّى... إلى هنا ليس في (ك).

ثلاثاً، ثم نام فرأى رسول الله في المنام، فقال له: ائتِ عمر، وقُل له: عهدي بك وأنت شديدُ العهد والعَقْدِ، الكَيْسَ [الكَيْس]، فجاء عمَر فأخبره، فصعِد المنبر وقال بمعنى ما ذكرنا، ففطِنوا، وقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء لنا، فاخرج إلى المُصلَّى، فخرج إلى المُصلَّى فصلى ركعتين واستسقى.

وقال ابن سعد بإسناده عن الشعبي: أنَّ عمر خرج يستسقي، فقام على المنبر وقرأ هؤلاء الآيات: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[نوح: ١٠] ثم نزل، فقيل له: ما منعك أن تَستسقي؟ فقال: قد طلبتُ المطرَ بمَجاديح السَّماء التي ينزل بها القَطْرُ[1]، ومَجاديح السماء: أنواؤها.

وقال الواقدي: فقيل إنَّه أخذ بيد العباس وخرجا ماشيَين، وعبدُ الله بن العباس معهما، فصَعِد عمر المنبر، ووقف بين العباس وابنه، ولزم بعَضُد العباس وقال: اللهمَّ إنا كنَّا نتوسَّلُ إليك بنبيّك ﷺ فتَسقينا، ونحن نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّك، ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ الآيات [نوح: ١٠].

وقال ابن إسحاق: فما وصلوا إلى بُيوتهم إلا وهم يخوضون في الماء، فقيل لعمر: قد اختصرتَ في الدُّعاء، هلّا قلتَ: غيثاً مُغيثاً؟ فقال: لقد استسقيتُ بمَجاديح السماء، وذكره.

ثم قَدِمت السُّفنُ من مصر من عمرو بن العاص، فيها الحنطةُ والأطعمة، وبعث أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلةٍ من الشام، وبُعث إليه من العراق، وعاش الناسُ.

وهل كان هذا قبل طاعون عَمْواس أو بعده؟ فيه قولان.

وقال هشام: أوَّل ما قدم عليه طعامُ أبي عُبيدة في أربعةِ آلاف راحلة، فأمر له بأربعةِ آلافِ درهم، فلم يقبَلْها وقال: إنما أردتُ وجهَ الله، فلا تُدخل عليَّ الدنيا، فقال عمر: لا بأس، فقد جرى لي مع رسولِ الله ﷺ مثل هذا، وذكر الحديث، فأَخَذها.

فصل: وفيها فُتحت حرَّان والرُّها وعينُ وَرْدة بالخابور، بعد غاراتٍ كثيرةٍ، وصالحوهم على صُلح دمشق.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٨.

وقال خليفة: إنَّما فُتحت هذه الأماكنُ على يد أبي موسى الأشعري، سار إليها من البصرة بأمر عمر، وكان أبو عبيدة قد جهَّز إليها عياض بن غَنْم، فاتفقا على الفتوح، وقيل: إن خالد بن الوليد افتتح الرُّها ونَصيبين وآمِد وسُمَيْساط[1].

وفيها فُتحت أماكنُ العراق منها الأهوازُ، وكانوا قد نقضوا العَهد، فبعث إليهم عمرُ أبا موسى الأشعريّ، واستخلف على البصرة عمران بنَ الحُصين، وسار إليها فافتتحها، ووظَّفَ عليها عشرةَ آلاف ألف وأربع مئة ألف درهم، ثم سار إلى جُنْدَي سابور والسُّوس وجُرجان وأَذْرَبِيجان وطَبَرِسْتان.

وقيل: إنما سُمِّيت جُرجان لأنه بناها جُرجان بن لاوِذ بن سام بن نوح، وقيل: إنها فُتحت في سنة اثنتين وعشرين.

وقال أبو الحسن المدائني: إنما فُتحت جُرْجان في سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه، وأما أذربيجان ففُتحت على يد عُتبة بن فَرْقَد صُلْحاً.

قال سيف بن عمر: قَدِم عتبةُ على عمر ومعه سِلالٌ فيها خَبيصٌ، فوجد بين يديْ عمر جفنةً فيها فِدَرٌ من سَنام جَملٍ، فقال له: كُلْ، فأخذ قطعةً منه، فلم يَسِغْها، وكشف السِّلال فقال: ما هذا؟ قال: خَبيصٌ أهديتُه لك من أَذْرَبيجان، فقال: أكلّ المسلمين أهديتَ لهم مثلَ هذا؟ قال: وأيُّ مالٍ يتَّسِعُ لهم؟ فقال: ضُمَّ إليك هدَّيتك، فلا حاجةَ لي في شيءٍ لا يَسعُ المسلمين[2].

وقد قيل: إن طَبَرِسْتان فُتِحت على يد عُتبة أيضاً، وقيل: على يد سُوَيد بن مُقَرِّن.

وفيها استَقضى عمر شُرَيحَ بن الحارث على الكوفةِ، واستقضى كعبَ بنَ سُوْر على البصرةِ، وسببُ استقضائه كعبَ بن سُورٍ ما أنبأنا به غيرُ واحدٍ عن فخر النساء شُهْدَة بنت أحمد بن الفرج بن عُمر الإبَري قالت: حدثنا نقيبُ النُّقباء، ذو الرِّئاستَين، شهابُ الحضْرتَين أبو الفوارس طِراد بنُ محمد بن علي الزَّينبي بإسناده، عن عبد الكريم بن أُمية قال: جاءت امرأةٌ إلى عمر بن الخطاب فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يَصوم

(١) تاريخ خليفة ١٣٩.

(٢) المنتظم ٤/ ٢٥٢ـ٢٥٤، والفدر: قِطع اللحم.

النهار ويَقوم الليل، وأنا أكره أن أَشكُوَه، فقال عمر: نِعم الرجلُ زوجُك، فجعلت تُردّد كلامَها وعمرُ لا يزيدُ على ذلك، وكان عنده كعبُ بنُ سُورٍ فقال: يا أمير المؤمنين، إنها تَشكو زوجَها في هجرِه فراشَها، فقال له عمر: كما فهِمتَ إشارتَها فاقضِ بينهما، فأرسل إلى زوجها فجاء، فقال لها كعبٌ: ما تَقولين؟ فقالت: [من الرجز]:

يا أيُّها القاضي الحكيمُ أرشدهْ
أَلهَى خليلي عن فراشي مَسجِدُهْ
زهَّده في مضجعي تعبُّدُه
نهارُه وليله ما يَرقُدُه
ولستُ في أمر النّساء أَحمَدُهْ

فقال كعبٌ لزوجها: ما تقول أنت؟ فقال:

زهَّدني في فَرْشِها وفي الكِلَلْ
أني امرؤٌ أَذهلَني ما قد نَزَلْ
في سُورة النَّمل وفي السَّبْعِ الطُّوَل

فقال له كعبُ بن سُوْر:

إن لها عليك حقًّا يا رجُلْ
نصيبُها في أربعٍ لمَن عَقَلْ
فأدِّها ذاك ودَعْ عنك العِلَلْ

فقال له عمر: ولمَ؟ قال كعبٌ: لأن الله أباح للمسلم أربعَ زوجاتٍ، ولكل واحدةٍ منهن يومٌ وليلة، ولما لم يكن له سوى زوجةٍ واحدة فنصيبُها على تقدير الأربع يومٌ وليلة، فقال عمر: والله ما أدري ممَّ أعجب؟ من فهمك إشارتها، أو من قَضائك بينهما[1].

(١) أخبار القضاة ١/ ٢٧٦ـ٢٧٧، والاستيعاب (٢١٨٧)، والمنتظم ٥/ ١١٥ـ١١٦. وأخرج القصة دون الشعر ابن سعد ٧/ ٩٢، ووكيع في أخبار القضاة ١/ ٢٧٥-٢٧٦.

قلتُ: والعجبُ من هذا الحكم وإمضائه! ولا خلاف بين العلماء أن عماد القَسْم الليلُ، وأنه متى كان للرجل زوجةٌ لم يَجُزْ له أن يَبيتَ عنها ثلاث ليالٍ من غير عُذرٍ، وهل يكون القَسْمُ إلا بين الزَّوجات؟ أما مع الواحدة فلا قائل به، بل الزمان كلُّه حظُّ المرأة الواحده، وإن كانتا اثنتين كان القَسْمُ بينهما، وهذا كعبُ بن سُوْر الأَسدي قُتل يوم الجمل، وسنذكره هناك[١].

وحجَّ بالناس عمرُ، وحوَّل المقام إلى موضعه اليوم، وكان مُلصقاً بالكعبة.

فصل وفيها توفي

أُوَيْس القَرَني

قال ابن سعد في «الطبقات»: أويسٌ من الطّبقة الأولى من التابعين، من أهل الكوفة، وفي رواية أنه من أهل اليمن[٢]، ونزل الكوفة، وأدرك حياة رسول الله ﷺ ولم يره، ووفد على عمر بعرفات.

وذكره[٣] البخاري فقال: أُويس القَرَني من أهل اليمن، مُراديٌّ[٤].

وقال أبو أحمد بن عدي: له نُتَفٌ وحكايات وأخبار في زُهده[٥].

وكان أُويس ثقةً صدوقاً، وقصَّته مشهورةٌ، أخرجها مسلم فقال: حدثنا محمد بن المثنى بإسناده، عن أُسَيْر بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتتْ عليه أمدادُ أهل اليمن يسألهم: هل فيكم أُوَيس بن عامر؟ حتى أتى على أُوَيس فقال له: أنت أُوَيس؟ قال: نعم، قال: أمن مُرادٍ؟ قال: نعم، قال: من قَرَنٍ؟ قال: نعم، قال: كان بك بَرَصٌ فبَرِأتَ منه إلا مَوضِعَ درهم؟ قال: نعم، قال: ألك والدةٌ خَلَّفْتَها باليمن؟ قال: نعم، فقال عمر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أُوَيسُ بنُ عامرٍ مع أمداد أهل اليمن، كان به بَرَصٌ فبَرئ منه إلا موضعَ درهم، له والدةٌ هو بارٌّ بها، لو أقسم

(١) من قوله: قلت والعجب... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨١.

(٣) من هنا إلى ما بعد صفحات ليس في (أ) و(خ).

(٤) التاريخ الكبير ٢/ ٥٥.

(٥) الكامل في الضعفاء ١/ ٤٠٤.

على الله لأَبرَّه، فإن استطعتَ أن يَستغفِر لك فافعل»، فاستغفِرْ لي، فاستغفر له، ثم قال له عمر: أين تُريدُ؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتبُ لك إلى عاملها فيستوصي بك؟ فقال: لأن أكونَ في غَبْراء الناس أحبّ إليَّ.

فلما كان في العام المقبل حجَّ رجلٌ من أشرافهم، فوافق عمرَ، فسأله عن أُويس: كيف تركْتَه؟ قال: رثَّ البيت قليلَ المتاع، فقال عمر: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول، وذكره، ثم قال عمر للرجل: إن استطعتَ أن يَستغفرَ لك فافعل، فلما قدم الرجلُ الكوفة أتى أويساً القرنيَّ فقال: استغفِر لي، فقال: أنت أحدثُ عهداً بسفرٍ صالحٍ، فردَّد عليه القول فقال: هل لقيتَ عُمر؟ قال: نعم، فاستغفر له، وفَطِن له الناس، فانطلق على وجهه.

قال أُسير بن جابر: فكسوتُه بُرْدةً فكان كلَّما رآها عليه إنسان قال: من أين لأُويسٍ هذه البردةُ؟ انفرد بإخراجه مسلم[1].

وروى عكرمةُ عن ابن عباسٍ قال: مكث عمر يَطلبه عشرَ سنين حتى ظَفِر به في آخرِ خلافته.

وقال عبد الغني بن سعيد: أُوَيس القَرَني، وقَرَنٌ: بَطنٌ من مرادٍ، أخبر به رسولُ اللهِ ﷺ قبل وُجوده[2].

وقال ابن سعد بإسناده عن أُسَيْر بن جابر قال: كان محدِّثٌ بالكوفةِ يُحدِّثنا، فإذا فرغ من حديثِه تفرَّقوا، ويبقى رهطٌ فيهم رجلٌ يتكلَّمُ بكلامٍ لا أسمعُ أحداً يتكلَّم كلامَه، فأحببتُه ففقدتُه، فقلتُ لأصحابي: هل تعرفون رجلاً كان يُجالسُنا كذا وكذا؟ فقال رجلٌ من القوم: نعم أنا أعرفُه، ذاك أُوَيس القَرَني، قال: فتعلمُ منزلَه؟ قال: نعم، قال: فانطلقتُ معه حتى ضربتُ حُجْرتَه، فخرج إليَّ، فقلتُ: يا أخي، ما حَبَسك عنا؟ قال: العُرْيُ، وكان أصحابُه يُؤذونه ويَسخرون به، قال فقُلتُ: خُذ هذا البُرْدَ فالبَسه، قال: لا تَفعل، فإنَّهم إذاً يُؤذونني إن رأَوه عليَّ، قال: فلم أزل بهِ حتى لَبِسه، وخرج عليهم،

(١) صحيح مسلم (٢٥٤٢)(٢٢٠).

(٢) تاريخ دمشق ٣/ ١٩٤ (مخطوط).

فقالوا: مَن تَرَوْن خدع عن بُرْدهِ هذا؟ قال: فجاء فوضعه وقال: أتَرى؟

قال أُسَيْرٌ: فأتيتُ المجلسَ فقلتُ: ما تُريدون من هذا الرَّجل؟ قد آذَيْتموه، الرجل يَعْرى مرَّةً ويكتسي أُخرى.

قال: فقُضي أن أهلَ الكوفةِ وفَدوا على عمرَ، فوفد رجلٌ ممَّن كان يَسخرُ به، فقال عمر: هل ها هنا أحدٌ من القَرَنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال: إن رسولَ الله ﷺ قد قال: إن رجلاً يَأتيكم من اليمن، يُقال له أُوَيس، لا يَدعُ باليمن غيرَ أُمّ، وقد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه إلا مثل الدرهم، فمَن لَقيه منكم فمُروه فليستغفر لكم.

قال: فقدم علينا فقلتُ: من أين؟ قال: من اليمنِ، قال قلتُ: ما اسمُك؟ قال: أُوَيس، قلتُ: فمَن تركتَ باليمنِ؟ قال: أُمًّا لي، قال: أكان بك بَياضٌ فدعوتَ الله فأذهبه عنك؟ قال: نعم، قال: استغْفِر لي، قال: أو يستغفِرُ مِثلي لمثلك يا أميرَ المؤمنين؟ قال: فاستغفر له. قال: قلت له: أنتَ أخي لا تُفارقني، فامَّلَس مني، فأُنبئتُ أنَّه قَدِم عليكم الكوفةَ. قال: فجعل ذلك الرجل الذي كان يَسخَرُ به ويَحتقره يقول: ما هذا؟ هذا عندنا وما نَعرفُه؟! فقال عمر: بلى إنَّه رجل كذا، كأنَّه يضعُ من شأنِه، قال: فينا يا أمير المؤمنين رجلٌ يقالُ له أُوَيس يُسْخَرُ به، قال: أَدركْ ولا أُراك تُدْرِك.

قال: فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه قبل أن يَأتيَ أهلَه، فقال له أُويس: ما هذه بعادتِك فما بدا لك؟ قال: سمعتُ عمر بنَ الخطاب يقول فيك كذا وكذا، فاستَغْفِر لي يا أُوَيسُ، فقال: لا أفعل حتى تجعلَ لي عليك ألا تسخَرَ بي فيما بعد، ولا تذكر الذي سمعتَ من عمر إلى أحدٍ، قال: فاستغفر له.

قال أُسير: فما لبثنا أن فشا أمرُهُ في الكوفةِ، فأتيتُه فدخلتُ عليه، فقلتُ له: يا أخي، ألا أراك العجبَ ونحن لا نشعر؟ قال: ما كان في هذا ما أتبلَّغُ به في الناسِ، وما يُجْزى كلُّ عبدٍ إلّا بعملهِ، ثم امَّلس منهم فذهبَ[1].

وقال ابن سعد بإسنادِه عن سلّام بن مسكين: حدثني رجل قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «خليلي من هذه الأمة أُويس القَرَني»[2].

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٢ـ٢٨٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٣.

وقال أبو نُعَيم الحافظ بإسناده عن أبي هُريرة قال: قال رسول ﷺ: «إنَّ الله يحبُّ من خَلْقه الأصفياءَ الأخفياءَ، الشَّعثةَ رؤوسُهم، المُغْبَرَّةَ وجوهُهم، الخَميصةَ بطونُهم، الذين إذا استأذنوا على الأُمراء لم يُؤذَنْ لهم، وإن خَطبوا المُنَعَّمات لم يُنكحوا، وإن غابوا لم يُفْتَقدوا، وإن طَلعوا لم يُفْرَح بطلعتهم، وإن مَرِضوا لم يُعادوا، وإن ماتوا لم يُشهدوا، قالوا: يا رسول الله، وكيف لنا برجلٍ منهم؟ قال: ذاك أُوَيس القَرَني، أشهلُ ذو صُهوبةٍ، بعيدُ ما بين المَنْكبَيْن، مُعتدِلُ القامة، آدمُ شديدُ الأُدْمَة، ضاربٌ بذَقنه على صدره، رامٍ ببصره مَوضعَ سجوده، واضعٌ يمينَه على شماله، يَتلوا القُرآن ويَبكي على نفسه، ذو طِمْرَيْن لا يُؤبه له، مُتَّزرٌ بإزارٍ من صوفٍ، ورداءٍ من صوف، مجهولٌ في أهل الأرض، معروفٌ في أهل السماء، لو أقسم على الله لأبرَّه، ألا وإن تحت مَنكبه الأيسر لَمعةً بيضاء، ألا وإنه إذا كان يومُ القيامة يُقال للعباد: ادخلوا الجنَّة، ويُقال لأُويسٍ: قف فاشفَعْ، فيُشفِّعه الله في مثل عدد ربيعة ومُضر. يا عمر ويا علي، إذا أنتُما لقيتماه فاطلبا إليه أن يَستغفر لكما، يَغفر الله لكما».

قال: فمكثا يَطلبانه عشرَ سنين، لا يَقدران عليه، فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر قام على أبي قُبيس، ونادى بأعلى صوته: يا أهل الحجيج من اليمن، أُوَيسٌ فيكم؟ فقام شيخ كبير، فقال: إنا لا ندري ما أُوَيس؟ ولكن لي ابنُ أخٍ يُقال له أُوَيس، هو أخملُ ذكراً، وأقلُّ مالاً، وأهون أمراً من أن تَرفعه إليك، وإنه ليرعى إبِلَنا بأَراك عَرفات، وهو حقيرٌ بين أظهُرنا.

فركب عمر وعليٌّ حمارَيْهما، وأسرعا إلى عرفات، وإذا به قائمٌ يُصلِّي إلى شجرة، والإبلُ ترعى حوله، فشدّا حمارَيهما، وأقبلا إليه فسلَّما عليه، فخفَّف من صلاته، وردَّ عليهما، فقالا: مَن الرَّجُل؟ قال: راعي إبلٍ وأجيرُ قومٍ، قالا: لسنا نَسألُك عن هذا، وإنما سألناك عن اسمك، فقال: اسمي عبد الله، قالا: قد علمنا أن أهل السماء والأرض كلَّهم عبيدُ الله، فما اسمُك الذي سمَّتك به أمُّك؟ فقال: يا هذان، ما تُريدان مني؟ قالا: وصف لنا رسولُ الله ﷺ أُوَيْساً القَرَني، فقد عرفنا الصُّهوبةَ والشُّهولةَ، وأنبأنا أن تحت مَنكبك الأيسر لَمعةً بيضاءَ، فأَوضِحْها لنا، فإن كانت بك، فأنت هو.

فأوضح مَنكبه فبدت اللمعةُ البيضاءُ، فابتدراه يُقَبِّلانه ويقولان: نشهدُ أنك أُويسٌ،

فاستغفِر لنا يَغفر الله لنا، فقال: ما أخصُّ باستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم، ولكنه في البرِّ والبحر، وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، ثم قال: يا هذان، قد شَهر الله لكما حالي، وعَرَّفكما مَكاني، فمَن أنتُما؟ فقال له عليّ: أما هذا فأميرُ المؤمنين، وأما أنا فعلي بن أبي طالب، فقام أُويسٌ قائماً وقال: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاتُه، فردَّ عليه فقال: وأنت يا ابن أبي طالب، فجزاكم الله عن هذه الأُمة خيراً، فقالا: وأنت فجزاك الله عن نفسك خيراً، ثم قال له عمر: مكانَك يَرحمك الله؛ حتى أَدخُلَ مكة، فآتيك بنفَقةٍ من عطائي، وكسوةٍ من ثيابي، ها هُنا ميعاد ما بيننا، فقال له أُويس: لا ميعاد بيني وبينكم، لا أَراك بعد اليوم، ما أَصنع بالنَّفقة والكسوة؟ أما ترى عليَّ إزاراً من صوفٍ ورداءً من صوف؟ متى تراني أُخلِقُهما؟ أما ترى نَعليَّ مَخصوفَتَين؟ متى تراني أُبليهما؟ أما تراني أخذتُ من رعاية الإبل أربعةَ دراهم؟ متى تراني آكلُها؟

يا أمير المؤمنين، إن بين يديك عَقبةً كَؤوداً، لا يُجاوزُها إلا كلُّ ضامِرٍ مُخفٍّ مَهزول، فخفِّف يَرحمك الله، فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرَّته الأرض، ثم نادى بأعلى صوتِه: يا ليت عمر لم تَلدْه أمّه، يا ليتها كانت عاقراً لم تُعالج حملَها، ألا مَن يَأخذُها بما فيها؟ فقال أويسٌ: خُذا هاهُنا حتى آخُذَ ها هُنا، فأخذا ناحية مكة، وساق أُويسٌ الإبل، فدفعها إلى أصحابها، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله تعالى[١].

وقال أبو نعيم: إنما منع أُويساً أن يَقدم على رسول الله ﷺ بِرُّه بأمِّه[٢].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن هَرِم بن حيّان العَبدي قال: قدمتُ من البصرة، فلقيتُ أُوَيساً القَرَني على شطِّ الفُرات بلا حذاءٍ، فقلتُ: كيف أنت يا أخي؟ حدِّثني؟ قال: أكرهُ أن أَفتح هذا الباب على نفسي، يعني أن أكون مُحدِّثاً أو قاصًّا أو مُفتياً، ثم أخذ بيدي وبكى، قال: قلتُ: فاقرأ عليَّ، فقال: أعوذُ بالله السميع العليم من الشيطان: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الدخان: ١-٦] قال: فغُشي عليه، ثم أفاق وقال: الوحدةُ أحبُّ [إليَّ][٣].

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٨٠ ـ٨٣، قال الذهبي في السير ٤/ ٢٨ : وهذا سياق منكر لعلّه موضوع.

(٢) الحلية ٢/ ٨٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٥ وما بين معكوفين منه.

قلتُ: وقد روى قِصَّته مع هَرِم بن حَيَّان غيرُ ابن سعدٍ، فأنبأنا غيرُ واحدٍ، عن أبي الفضل محمد بن ناصر بإسناده[1]، عن علقمة قال: انتهى الزُّهد إلى ثمانيةٍ من التابعين، منهم أُوَيسٌ القَرَني، ظنَّ أهلُه أنه مجنون، فبَنَوْا له [بيتاً] على باب دارهم، فكانت تأتي عليه السِّنون لا يَرون له وجهاً، وكان طعامُه مما يَلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه وأفطر على ثَمنه.

فلما ولي عمر بن الخطاب قال في الموسم: أيها الناسُ، قوموا، فقاموا، فقال: اجلسوا إلا مَن كان من اليمن، فجلسوا، فقال: اجلسوا إلا مَن كان من مُراد، فجلسوا، فقال: اجلسوا إلا مَن كان من قَرَن، فجلسوا إلا رجُلاً، وكان عمَّ أُويسٍ، فقال له عمر: أقَرَنيٌّ أنت؟ قال: نعم، قال: أتعرفُ أُوَيساً؟ قال: وما تَسأل عنه؟ فوالله ما فينا أجنُّ ولا أحوجُ ولا أحمقُ منه، فبكى عمر ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يدخُل الجنَّة بشفاعته مثلُ ربيعةَ ومُضر».

وقال هَرِم بن حَيَّان: فلما بلغني ذلك قدمتُ الكوفة فلم يكن لي همٌّ إلا طَلَبه، حتى سقطتُ عليه جالساً نصفَ النهار على شاطئ الفرات يتوضَّأ، فعرفتُه بالنَّعت الذي نُعِت لي، فإذا رجلٌ نحيلٌ آدمُ شديدُ الأُدمة، أشعثُ مَحلوقُ الرأس، مهيبُ المنظر، فسلَّمتُ عليه فردَّ عليَّ، فمددتُ يدي لأُصافحه فأبى، فقلتُ: رحمك الله يا أُويسُ وغفر لك، كيف أنت؟ وخَنَقتْني العَبْرة من حبِّي إياه ورقَّتي عليه، لما رأيتُ من حاله، وبكيتُ وبكى وقال: وأنت فحيَّاك الله يا هَرِم بن حَيَّان، مَن دلَّك عليّ؟ فقلتُ: الله، فقال: لا إله إلا الله، سبحان ربِّنا إن كان وَعدُ ربِّنا لمَفعولا.

قلتُ: فمن أين عرفتَ اسمي واسمَ أبي، وما رأيتَني قطُّ، ولا رأيتُك قبل اليوم؟ فقال: أنبأني العليمُ الخبير، عرفتْ روحي روحَك حين كلَّمتْ نَفسي نفسَك، إن المؤمنين يَعرف بعضُهم بعضاً، ويتحابون بروح الله وإن لم يَلتقوا، وإن نأَت بهم الدار، وتفرَّقت بهم المنازل.

قلتُ: حدِّثني عن رسول الله ﷺ فقال: إني لم أُدْركْه، ولم يكن لي معه صُحبةٌ،

(١) إلى هنا ليس في (أ) و(خ) مما أشير إليه قبل صحائف.

بأبي وأُمي رسولُ الله، ولكني قد رأيتُ مَن رآه، ولستُ أُحبُّ أن أفتح هذا الباب، فأكون محدِّثاً أو قاصًّا أو مُفتياً، في نفسي شُغلٌ عن الناس.

قلتُ: اقرأ عليَّ آياتٍ من كتاب الله، وأوصني بوصيةٍ، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال ربِّي وأصدقُ الحديثِ حديثُ ربي: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾الآية[الدخان: ٣٨]، ثم شَهق شَهقةً فطنتُه قد مات، ثم أفاق فقال: يا هَرِم بن حيَّان: مات أبوك، ويوشك أن تموت أنت، فإما إلى الجنّة وإما إلى النار، ومات آدم وحوَّاء ونوحٌ وإبراهيم ومحمد صلى الله عليهم أجمعين، ومات أبو بكر خليفةُ رسول الله ﷺ، ومات أخي وصديقي عمرُ بنُ الخطاب، فقلتُ له: إن عمر لم يَمُت، فقال: بلى، قد نعاه إليَّ ربّي، ونَعى إليَّ نفسي، وأنا وأنت في الموتى، ثم دعالي وأوصاني وقال: السلام عليك، لا أَراك بعد اليوم؛ فإني أكره الشُّهرة، خُذْ أنت ها هُنا، حتى آخذ أنا ها هُنا، ودخل بعضَ السّكك، ثم طلبتُه بعد ذلك أشدَّ الطَّلب فلم أجد أحداً يعرفُه، وأنا باكٍ عليه، وأَراه كلَّ وقتٍ في منامي[1].

قلتُ: وهذا هَرِم بن حَيّان العَبْدي ذكره ابن سعدٍ في الطبقةِ الأولى من التَّابعين من أهل البصرة، استعمله عمر بن الخطاب[2]، وروى عن عمر الحديث وعن جماعةٍ من الصحابة، وكان عالماً زاهداً صالحاً، وروى عنه الحسنُ البصري وغيرُه، وإنما سُمّي هَرِماً لأن أمَّه حملتْ به سنتين، وولدته وقد بدت ثناياه، وسنذكره في سنة ستٍّ وأربعين[3].

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: كان أُويسٌ يلقُطُ الكِسَرَ من المزابل، فيغسلها في الفرات، ويفطر على بعضها، ويتصدَّقُ بالباقي، ويأخذُ الرُّقَع من المزابل، فيغسلها في الفُرات، ويَرقعُ بها ثوبَه، وعَري حتى جلس في قَوْصَرة.

وجاء يوماً إلى مَزْبَلةٍ أو كُناسةٍ يَتَقمَّمُ منها وعليها كلبٌ، فنبح عليه، فقال له أُويس: كُلْ ممّا يَليك، وآكلُ أنا مما يَليني، إن دخلتُ الجنّةَ كنتُ خيراً منك، وإن دخلتُ النار كنتَ خيراً مني.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٨٤ ـ ٨٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨، قال الذهبي في السير ٤/ ٢٩ عن هذه القصة: لم تصحّ، وفيها ما يُنكر.

(٢) طبقات ابن سعد ٩/ ١٣١.

(٣) من قوله: قلت وهذا هرم... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

وقال أُويس: لا تنظُر إلى صِغَر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة مَن عصيتَ.

وقال: إني لأصلُ إخواني بالدعاء بظهر الغيب، لأن الزيارة واللقاء قد يعرضُ فيهما التصنُّع والرِّياءُ[١].

وقال أبو نُعيم بإسناده: كان أُويسٌ إذا أمسى يقول: هذه ليلةُ السجود، فيسجد حتى يُصبح، وإذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع إلى الصَّباح[٢].

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها ولم يذكرها ابن سعد في «الطبقات»، وروى أبو نعيم، عن عبد الله ابن سلمة قال: غزونا أَذْرَبيجان في أيام عمر بن الخطاب ومعنا أُوَيس، فمرض بعد رجوعنا، فحملناه فلم يَستمسكْ، فمات في منزل، فإذا قبرٌ محفورٌ، وماءٌ مَسكوب، وكفنٌ وحَنوط، فغسلناه وكفنَّاه، وصلَّينا عليه ودفنَّاه، ثم مَضَينا، فقال بعضُنا لبعضٍ: لو رجعنا فعلَّمْنا قبرَه، فرجَعْنا إلى المكان فلاعَينٌ ولا أَثَر[٣].

وقد حكى جدِّي هذا في «المنتظم»، ثم قال: وقد رُوي أنه عاش بعد ذلك طويلاً، حتى قُتل مع عليّ عليه السلام يومَ صِفّين، قال: والأَوَّلُ أثبت[٤]. يعني: أنَّه مات في هذه السنةِ.

قلتُ: الرواياتُ الظاهرةُ تدلُّ على أنه عاش إلى أيام صِفّين.

قال ابنُ سعد بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى رجلٌ من أهل الشام فقال: أفيكم أُوَيسٌ القَرَني؟ قالوا: نعم، قال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ من خير التَّابعين أُوَيساً القَرَنيَّ»، ثم ضرب دابَّته فدخل فيهم[٥]، يعني عسكر عليٍّ عليه السلام.

---

(١) انظر صفة الصفوة ٣/ ٥٥، والمنتظم ٤/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥، وشذرات الذهب ١/ ٢١٤.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٨٧.

(٣) الحلية ٢/ ٨٣-٨٤.

(٤) المنتظم ٤/ ٢٥٦-٢٥٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٣.

وكذا حديث أبي هريرة الذي أخرجه أبو نُعيم[١]، وفيه: فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر قام على أبي قُبَيْسٍ، وذكره. وعمر إنما هلك في سنة ثلاثٍ وعشرين، وهي متأخرةٌ عن هذه السنة.

وقال ابنُ أبي ليلى: وُجِد أُويسٌ قتيلاً يوم صِفّين، وقال عبد الغني بن سعيد: شهد أُوَيس صِفِّين مع عليٍّ عليه السلام، وكان من خيار المسلمين.

وقال ابن أبي ليلى: قبرُه بالرَّقَّةِ، حمله عليٌّ عليه السلام فدفنه بها في جُملة الشهداء.

وذكر ابن عساكر في «تاريخه» وقال: ويُقال إن قبرَ أُوَيسٍ بباب الجابية[٢].

الحارث بن هشام

ابن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، اختُلف في وفاته؛ فقيل في طاعون عَمْواس، وقيل استُشهد باليرموك وهو أولى[٣].

سهيل بن عمرو

ابن عَبْد شَمْس بن عبد وُد بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب، وكُنيتُه أبو زيد، من الطبقة الرابعة من المسلمة[٤] بعد الفتح، وكان من سادات قُريش وأشرافِهم، والمنظور إليه منهم، شهد بدراً كافراً، فأسره مالك بن الدُّخْشُم، وكان ابنُه عبد الله قد أسلم قديماً، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، فلما كان يومُ الفتح أخذ لأبيه أماناً، وقال رسول الله ﷺ يوم الفتح: «لاتتعرَّضوا لسُهيل؛ فإن له عقلاً وشَرفاً»، وأسلم سُهيل بالجِعْرانة، وأعطاه رسول الله ﷺ مئةً من الإبل.

ولم يكن أحدٌ من كُبراء قريش؛ الذين تأخَّر إسلامُهم فأسلموا يوم الفتح أكثرَ

---

(١) سلف قريباً.

(٢) تاريخ دمشق ٣/ ٢١٨ و ١٩٤ و ١٩٢، ومن قوله: ذكر وفاته... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، وجاء بدله فيهما: واختلفوا في وفاته، فقيل هذه السنة، وقيل في أيام صفين، وقيل فيما بين ذلك.

(٣) سلفت ترجمته في سنة (١٣هـ)، ومن بداية ترجمة الحارث إلى ترجمة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما، ليس في (ك).

(٤) في (أ) و(خ): بهن مسلمة؟!

صلاةً، ولا صياماً، ولا صدقةً، ولا أَقْبلَ على ما يَعنيه من أمر الآخرة من سُهيل بن عمرو، حتى إن كان لقد شَحِب وتَغيَّر لونُه، وكان كثيرَ البكاء، رقيقاً عند سماع القرآن وقراءته.

ولقد رُئي يَختلف إلى مُعاذ بن جبل يُقرئه القرآن وهو بمكة، حين خرج معاذ إلى مكة[١]، حتى قال له ضِرار بنُ الخطاب: يا أبا يزيد، تَختلف إلى هذا الخزرجيّ يُقرئك القرآن! هلا يكون اختلافُك إلى رجلٍ من قومك؟ فقال: يا ضرار، إن هذا الذي صنع بنا ما صنع، حتى سبقنا كلّ السَّبْق، إني لعَمري أختلف إليه، فقد وَضع الله أمرَ الجاهلية، ورَفع بالإسلام أقواماً كانوا لا يُذكرون، فليتنا كنا مع أولئك فتقدمنا، وإني لأذكر قَسْم الله لي في تقدُّم [إسلام] أهلي، حتى الرجال والنساء، ومولاي عُمير[٢] بن عوف، فأُسَرُّ به، وأَحمَد الله عليه، وأرجو أن يكون الله نفعني بهم ودعائهم؛ ألا أكون متُّ أو قُتلت على ما مات عليه نُظرائي أو قتلوا.

وقد شَهدت مَواطنَ كلّها أنا فيها مُعانِد الحق: يوم بدر وأحد والخندق، وأنا وَليتُ أمرَ الكتاب يوم الحديبية، وإني لأذكُر مُراجعتي رسولَ الله ﷺ يومئذٍ، وماكنتُ أَلطُّ به من الباطل، وأنا بمكة وهو بالمدينة، فأستحيي منه، ولكن ما كان فينا من الشرك أعظم من ذلك، ولكن رأيتني يوم بدر وأنا في حَيِّز المشركين، وأَنظُر إلى ابني عبد الله وعُمير ابن وهب مولاي قد فرَّا مني، فصارا في حيِّز محمد، وما عمي عني يومئذٍ من الحق لما أنا فيه من الجهالة، وما أرادهما الله به من الخير، ثم قُتل ابني عبد الله يوم اليمامة، فعَزّاني فيه أبو بكر وقال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشهيد لَيَشفع لسبعين من أهل بيته»[٣]، وإني لأرجو أن أكون أوَّلَ مَن يشفع [له].

قال الحسن رحمه الله: حَضر بابَ عمر بن الخطاب سُهيل بنُ عمرو، والحارث بنُ هشام، وأبو سفيان بنُ حَرْب، ونَفرٌ من قُريش من تلك الرؤوس، وصُهيب وبلال وتلك

---

(١) في طبقات ابن سعد ٦/ ١٢٥، والمنتظم ٤/ ٢٥٩ : حتى خرج معاذ من مكة.

(٢) في (أ) و(خ): عمرو، وهو خطأ، وسيترجم له المصنف قريباً.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ١٢٥، والمنتظم ٢٥٩ ـ ٢٦٠، وأخرج الحديث أبو داود (٢٥٢٢)، وابن حبان (٤٦٦٠)، والبيهقي في الكبرى ٩/ ١٦٤ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

الموالي، فخرج إذْن عمر للموالي، وترك أولئك، قال أبو سفيان بن حَرْب لسُهيل بن عمرو وأصحابِه: لم أرَ كاليوم، يَأذن للعبيد ونحن على بابه لا يَلتفِتُ إلينا، فقال سهيل ابن عمرو وكان عاقلاً: أيها القوم، إنْ كنتم غِضاباً فعلى نفوسكم فاغضبوا، دُعي القومُ ودُعيتُم، فأسرعوا وأبطأتُم، فكيف بكم إذا دُعوا يوم القيامة وتُركتم، أما والله لما سَبقوكم إليه من الفَضل مما لا ترون أشدُّ عليكم فَوْتاً من بابكم هذا الذي تُنافسوهم عليه، ونَفض ثوبه وانطلق.

قال الحسن: صدق والله سُهيل، لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أَبْطأ عليه.

ولما قُتل عبد الله بن سُهيل باليمامة شهيداً قال أبوه سُهيل: لا أزال بالشام حتى أموتَ شهيداً، فمات بعَمْواس رحمه الله[١].

عمرو بن حاطب بن عمرو[٢]

من الطبقة الأولى من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دارَ الأَرْقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً، ولما هاجر إلى المدينة نزل على رِفاعة بن عبد المنذر، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها.

وكان له ولدان: أحدهما سَليط بن عمرو[٣]، من المهاجرين الأوَّلين، وشهد أحداً، وفي بدر خلاف، وبعثه رسول الله ﷺ إلى هَوْذَة بن علي وثُمامة بن أُثال الحنفيَيْن رئيسي اليمامة، وابنه سَليط بن سَليط، شهد اليمامة مع أبيه.

كسا عمر رضي الله عنه الصحابة رضي الله عنهم حُللاً، ففضل عنده حُلَّة فقال: دلُّوني على فتى هاجر

---

(١) انظر في ترجمته طبقات ابن سعد ٦/ ١١٩ و ٨/ ١٤ و ٩/ ٤٠٨، والمعارف ٢٨٤، والاستيعاب (١٠٧٩)، والمنتظم ٤/ ٢٥٨، والتبيين ٤٧٣، والإصابة ٢/ ٩٣.

(٢) كذا في (أ) و(خ) وهو خطأ، صوابه حاطب بن عمرو، فالترجمة التالية له، ولم يذكر مَن ترجموا له وفاته في هذه السنة، ولعل المصنف أورده لأنه أخو سُهيل. انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٥، والاستيعاب (٥٢٧)، وأنساب الأشراف ١/ ٢٥١، والتبيين ٤٧٧، والإصابة ١/ ٣٠١.

(٣) كذا، وهو خطأ، فإن سليط بن عمرو أخو سهيل وحاطب والسكران وسهل، وكان لحاطب من الأولاد عمرو، انظر طبقات ابن سعد ٤/ ٢٠٣ (صادر)، وأنساب الأشراف، والاستيعاب (١٠٩٧)، والتبيين ٤٧٨، والإصابة ٢/ ٧١.

هو وأبوه، فقالوا: عبد الله بن عمر، فقال: لا، ولكن سَليط بنُ سَليط، فكساه إياها.

ومن إخوة سُهيل بن عمرو: سَهْل بن عمرو، أسلم يوم الفتح، ومات بالمدينة في أيام عمر رضوان الله عليه.

عُمَير بن عوف

مولى سُهيل بن عمرو، من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، ولما هاجر إلى المدينة نزل على كُلثوم بن الهِدْم، مات بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصلّى عليه [عمر][1].

شُرَحْبيل بن حَسَنة

وهي أمُّه، من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة المرّة الثانية، وكان من كبار الصحابة، وغزا مع النبي ﷺ عدَّةَ غزوات، وهو أحد الأُمراء الذين عَقد لهم أبو بكر رضوان الله عليه على الشام، وافتَتح الأُردُنَّ كلَّه عَنوة، ما خلا طَبَريّة؛ فإن أهلَها صالحوه.

ولما قدم عمر رضوان الله عليه الشام نزع شُرحبيل عن الإمرة، فقال لعمر رضوان الله عليه: أعَجَزْتُ أم خُنتُ؟ فقال: لا، ولكن تَحرَّجتُ أن أُؤَمِّرَك، وأنا أجدُ مَن هو أكفأُ منك، قال: فقُم فاعْذِرني، فقام في الناس فقال: ما عزلتُ شُرحبيل عن خيانة، ولكن أردتُ أَجلَدَ منه، وتُوفّي بعَمْواس رضي الله عنه[2].

فصل[3] وفيها توفي

أبو عبيدة بن الجراح

واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبّة بن الحارث بن فِهر ابن مالك بن النَّضْر بن كنانة، وعند فِهر يلتقي مع النبي ﷺ في النسب، وأمُّه أُميمة بنت

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٧، والاستيعاب (١٧١٠)، والإصابة ٣/ ٣٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١٢٧ (صادر) و٩/ ٣٩٧، والاستيعاب (١١٥٣)، وتاريخ دمشق ٨/ ٢٦ (مخطوط)، والمنتظم ٤/ ٢٦١، والإصابة ٢/ ١٤٣.

(٣) إلى هنا ليس في (ك) مما أشير إليه قبل صفحات.

غَنْم بن جابر بن عبد العُزّى، وأُمّها دَعْد بنت هلال بن أُهيب، فِهْرِيَّةٌ.

وحكى البلاذريّ، عن المدائنيّ، عن أبي اليقظان أنه قال: أسلمت أمُّ أبي عبيدة وزوجُها[١].

وقال عبد الله بن شَوْذَب: خرج أبو أبي عُبيدةَ يوم بدرٍ مع الكفّار، وابنُه أبو عبيدة مع المسلمين، فجعل أبوه يتعرَّضُ له ليقتله، وجعل ابنُه أبو عُبيدة يَحيد عنه، فلما كثر قَصْدُه له قتله أبو عبيدة، ونزل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾الآية[المجادلة: ٢٢][٢].

وأبو عُبيدة رضي الله عنه من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأحد العشرة المبشرين، أسلم قديماً هو وعثمان بن مَظعون وعبد الرحمن بن عوف وعبيدة بن الحارث وأبو سلمة بن عبد الأسد[٣] في ساعة واحدة، قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

وكان طُوالاً، نَحيفاً، أَجْنأ، مَعْروقَ الوجه، خفيفَ اللحم، أَثْرَم الثَّنيَّتَين، هُتِما يومَ أحد لما نزع حَلْقَتَيْ المِغفَر من وَجه رسول الله ﷺ، وكان يَخضِبُ بالحِنَّاء والكَتَم، ونَقْش خاتَمه: الخُمُس لله.

ذِكرُ جملةٍ من فضائله: حكى ابن سعدٍ عن ابن إسحاق والواقديّ أنه هاجر إلى الحبشة الهجرةَ الثانيةَ. ولم يذكُره موسى بن عقبة وأبو معشر[٤].

وقال البلاذري: هاجر الهجرتين جميعاً، ثم هاجر إلى المدينةِ فنزل على كلثوم بن الهِدْم[٥].

وشهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وثبت يوم أُحدٍ لمّا انهزم الناسُ، ولما دخلت حَلَقَتا المغْفَرِ في وجْنتَي رسول الله ﷺ نزعهما، فسقطت ثنيَّتاه، فكان أحسنَ الناس هَتْماً، وقد ذكرناه في غزاةِ أُحد[٦].

---

(١) أنساب الأشراف ١/ ٢٥٨ و ٩/ ٣٢٥.

(٢) تاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٢٢٦، والحلية ١/ ١٠١، ومن هنا إلى ذكر جملة من فضائله ليس في (ك).

(٣) في (أ) و(خ): الأشهل، والمثبت من تاريخ دمشق ٢٦٣، وكتب التراجم والسير.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٩.

(٥) أنساب الأشراف ١/ ٢٥٩ و ٩/ ٣٢٤.

(٦) سلف في السيرة.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أنسٍ قال: لما قَدِمَ وَفْدُ اليمن على النبي ﷺ سألوه أن يَبعث معهم رجلاً يُعلِّمهم الفرائض والسننَ، ويُعلّمهم الإسلام، فأخذ بيدِ أبي عبيدة وقال: «إنَّ لكلِّ أمّةٍ أميناً، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة». أخرجاه في الصحيحين[١].

ولما بلغ عمر سَرْغ حُدِّث أن بالشام وباءً شديداً، فقال: بلغني شدَّة الوَباء بالشام، فقال: [إنْ] أدركَني أجلي وأبو عبيدة حيٌّ استَخْلَفتُه، فإن سألني الله: لمَ استخلفتَه على أمّة محمد؟ قلتُ: سمعتُ نبيَّك ﷺ يقول: «لكلِّ أمّة أمينٌ، وأمين هذه الأمَّة أبو عبيدة ابنُ الجراح»، فإن أدركَني أجلي وقد تُوفّي أبو عبيدة استخلفتُ مُعاذ بنَ جَبَل، فإن سألني ربّي: لمَ استَخلفتَ معاذاً؟ قلتُ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مُعاذٌ يوم القيامة بين يدي العلماء، بيده اللواء»[٢].

وقال ابن سعدٍ عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نِعم الرجلُ أبو عبيدة بن الجراح»[٣].

ورُوي أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنَّوْا، فقال رجلٌ: أتمنّى لو أن لي هذه الدارَ مملوءةً لؤلؤاً وزَبَرْجَداً وجوهراً أُنْفقه وأَتصدَّقُ به، فقال: تمنَّوْا، فتمنَّوا، فقال عمر: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءةً رجالاً مثلَ أبي عُبيدة[٤].

وقال أبو نُعيم بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لمّا قَدِم عمر الشامَ تلقَّاه الناسُ وعُظماءُ أهلِ الأرضِ، فقال عمر: أين أخي أبو عُبيدة؟ قالوا: الآن يَأتيك، فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل بيته فلم يَرَ فيه إلّا سيفَه وتُرْسَه ورَحْلَهُ، فقال له عمر: ألا اتَّخذتَ ما اتَّخذ أصحابُك؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذا يُبَلِّغُني المَقيلَ[٥].

وقد ذكرنا أن عمر قَبَّل يده لمَّا لَقِيه، وقال ابنُ سعدٍ بإسناده عن قتادة، عن العِرْباض قال: قال أبو عبيدة: وَدِدْتُ أني كنتُ كَبْشا فذبحني أهلي، وأكلوا لحمي، وحَسَوْا مَرَقي[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨١، وصحيح البخاري (٣٧٤٤)، وصحيح مسلم (٢٤١٩).

(٢) تاريخ دمشق (عاصم - عايذ) ٢٨٥-٢٨٧، ومن قوله: ولما بلغ عمر سَرْغ... إلى هنا ليس في (ك).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨١.

(٤) تاريخ دمشق ٣٠٢، والحلية ١/ ١٠٢.

(٥) حلية الأولياء ١/ ١٠١ـ١٠٢.

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٢، وتاريخ دمشق ٣١٢، وليس فيها العرباض.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه[١]، وكان يُدعى القويّ الأمين، وبعثه رسول الله ﷺ على عِدَّةِ سرايا، وبعثه في سرية أميراً وفيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما.

وقيل لعائشة رضوان الله عليها: مَن كان رسول الله ﷺ مُستخلِفاً لو استَخْلَف؟ فقالت: أبو بكر، قيل: فمَن بعده؟ قالت: عمر، قيل لها: فمَن بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة[٢].

وقال له أبو بكر رضوان الله عليه يوم السقيفة: مُدَّ يدك لأُبايعك، فقال له أبو عبيدة رضي الله عنه: ما كنتُ لأُصلّيَ برجل أَمره رسول الله ﷺ فأَمَّنا حتى قُبض[٣].

وقال ابن سعدٍ بإسنادهِ عن العِرْباضِ بن سارِية قال: دخلتُ على أبي عُبيدَة في مرضِه الذي مات فيه، فقال: يَغفِرُ الله لعمر بن الخطاب رجوعَه من سَرْغٍ؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المطعون شهيد، والمبطون شهيد، والغَريقُ شهيد، والحَرِقُ شهيد، والهَدَمُ شهيد، وذاتُ الجَنْب شهيد، والمرأةُ تموت بِجُمْعٍ شهيدة»[٤]. وله معنيان: أحدُهما: أن تموتَ عَذْراءَ، والثاني: أن تموت وفي بَطنها ولَدُها.

وقال هشام: لما أتى عمرُ الشام نزل بمنزل أبي عُبيدة، فقالت له امرأتُه: أهلاً وسهلاً يا أمير المؤمنين، فقال: أفلُانةُ؟ قالت: نعم، قال: والذي نفسي بيده لأسوءنَّك، قالت: هل تستطيعُ أن تَسلِبني الإسلامَ؟ قال: لا والله، قالت: فما أُبالي ما كان بعد ذلك.

قال: وكانت أهدت امرأةُ عظيمِ الروم عند فتح دمشق لامرأة أبي عبيدة عِقداً فيه خرزٌ ولؤلؤٌ وشيءٌ من ذهب، يُساوي ثلاث مئة درهم أو دينار ـ اشتبه على الراوي، وقيل: إنَّما أهدت لها تاجاً مُرَصَّعاً ـ فلما نزل عمر منزل أبي عُبيدة جاءت ابنةٌ له

(١) كذا ذكر، وفي طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٩، وأنساب الأشراف ٩/ ٣٢٤، وتاريخ دمشق ٢٥٦، وتهذيب الكمال: أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومحمد بن مسلمة، وفي سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٥ أن أبا عبيدة وسعد بن معاذ أخوين.

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢٠٤)، (١٢٨٦)، وابن عساكر ٢٩٩-٣٠٠.

(٣) تاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٢٨٩، ومن قوله: وآخى رسول الله ﷺ... إلى هنا ليس في (ك).

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٣.

جُوَيْرِية، فجلست بين يدي عمر، فجعل يَستطعمها الكلامَ ما حَلْيُك؟ فقالت: كذا وكذا، وسمعتْه أُمُّها من داخل البيت فقالت: كأنك تُريد العِقد أو التاج؟ قال: نعم، فقالت: نعم، قسمه أبو عبيدة بين المسلمين، ولم يُعطِنا منه شيئاً، فسكت.

ولم يذكر هشام اسمَ امرأة أبي عبيدة، وذكرها الحافظ ابن عساكر في آخر تاريخه، في ذكر النساء، في حرف التاء وقال: اسمُها تحيفة بالتاء[١].

قال الشيخ موفق الدّين رحمه الله في الأنساب: لما قدم عمر رضوان الله عليه الشام [قال لأبي عُبيدة]: ألا تَسْتَزيرُني؟ فقال: أخاف أن تعصر[٢] عينيك، فاستزاره، فلم يجد في بيته إلا طِنْفِسَة رَحْلِه، فقدم إليه خبزاً يابساً ومِلحاً، فقال له عمر رضوان الله عليه: هلا اتَّخذتَ ما اتَّخذه غيرُك؟ فقال: هذا يُبلّغني المحل، فبكى عمر رضوان الله عليه وقال: أنت أخي، ما أجد إلا مَن غَرَّتْه الدُّنيا غيرك.

وكان يسير في العسكر ويقول: ألا رُبَّ مُبَيِّضٍ لثيابه مُدَنِّس لدِينه، ألا رُبَّ مُكرِمٍ نفسَه وهو لها مُهين، فادْرؤوا السِّيئات القديمات بالحسنات الحَديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيّآت ما بينه وبين السماء، ثم عمل حَسنةً لعلت فوق سيئاته حتى تَقهرهنّ[٣].

ودخل عليه بعضُ أصحابه في مرضه فوجده يبكي، فقال: ما يُبكيك؟ فقال: أبكي أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً ما يَفتح الله على المسلمين ويَفيءُ عليهم، حتى ذكر الشام فقال: «إنْ يُنسَأ في أجَلك يا أبا عبيدة، فحسبُك من الخَدَم ثلاثة: خادم يَخدُمك، وخادم يُسافر [معك]، وخادم يَخدُم أهلَك، وحَسبُك من الدَّوابّ ثلاثة: دابّة لرجلك[٤]، ودابة لثَقَلِك، ودابّة لغُلامك»، وها أنا أنظُر إلى بيتي قد امتلأ رَقيقاً، وإلى مَرْبَطي قد امتلأ دوابًّا وخيلاً، فكيف ألقى رسول الله ﷺ بعد هذا؟ وقد أوصانا: «إن أحبَّكم إليَّ وأقرَبكم منّي مَن لَقيني على مثل الحال التي فارقَني عليها»[٥].

وقد ذكرنا أن أبا عبيدة شهد بَدْراً والمشاهِدَ كلّها، واليرموكَ وأجنادين وفحْلاً

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٥/ ٣٢٧-٣٢٨، وليس في المطبوع أو المخطوط من تاريخ دمشق.

(٢) في (أ) و(خ): تعصب، والمثبت من التبيين ٤٩٤ وما بين معكوفين منه.

(٣) الزهد لأحمد ٢٣٠، والحلية ١/ ١٠٢.

(٤) في (خ): لرحلك.

(٥) تاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٣٠٨ـ٣٠٩، ومن قوله: قال الشيخ موفق الدين.. إلى هنا ليس في (ك).

ومرجَ الصُّفَّر ودمشقَ وغيرَ ذلك.

ذكر وفاته: روى ابن سعدٍ عن الواقديّ قال: شهد أبو عبيدة بدراً مع رسولِ الله ﷺ وهو ابن إحدى وأربعين سنةً، ومات بطاعون عَمْواس سنة ثماني عشرة، ومات عن ثمانٍ وخمسين سنةً[١]، أو سبعٍ وخمسين سنةً[٢].

واختلفوا في مَوضع قبره، فقال ابن الكلبي: قبره بعَمْواس، وهي قريةٌ بينها وبين الرَّمْلة ثلاثةُ أميالٍ، أو أربعةُ أميالٍ. وقال الواقديّ وضَمْرة بن ربيعة: قبرُه ببَيْسان.

قلتُ: ورأيتُ بطَبَريّة مشهداً، وفيه قبرٌ، وعلى حائطه بَلاطة عليها مكتوب: هذا قبرُ أبي عبيدة بن الجراح، تُوفّي بطاعون عَمْواس سنة عشرين، وقيل: إنه بِفِحْل، والله أعلم.

وصلى عليه معاذ بن جبلٍ، ونزل في قبرِه، والمشهور أنَّه بعَمْتا من الغَورِ[٣]. أسند الحديث عن رسول الله ﷺ[٤].

عامر بن غَيْلان بن أَسْلَم الثَّقفي[٥]

أسلم قبل أبيه وهاجر، وله صُحبة، وكان شاعراً وأُمُّه خالدة بنت أبي العاص.

ولما هاجر عامر إلى المدينة عمد خازن غَيْلان إلى مالٍ له، وسَرقه ودفنه في خارج الحصن، وقال لغَيْلان: إن ابنَك سَرق مالك، وراح به إلى المدينة، فشكاه إلى الناس، وبلغ عامراً فلم يَعتذر إلى أبيه، ولم يذكر براءته مما قيل عنه، ولما شاع ذلك جاءت أَمَةٌ لبعض آل ثَقيف، فقالت لغيلان: أيّ شيءٍ [لي] عندك إن دَلَلْتُك على مالك؟ قال: مهما شئتِ، قالت: تَشتريني وتُعتِقني، قال: نعم، فأخرجَتْه إلى ظاهر الحِصْن، وقالت رأيتُ عبدك فُلاناً قد دفن ههنا شيئاً في بعض الليالي، وإنه يَتعاهَدُه في كلِّ وقت، فنبش المكان، وأخذ المال، فاشترى الأَمَةَ وأَعتقها.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٣ـ٣٨٤ و ٩/ ٣٨٩.

(٢) في (أ) و(خ): وقيل تسع وخمسين.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٣١٦ ـ ٣٢٢.

(٤) انظر في ترجمة إضافة إلى ما سلف: المعارف ٢٤٧ ـ٢٤٨، والاستيعاب (٣٠٣٦)، والمنتظم ٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٢، والإصابة ٢/ ٢٥٢، والسير ١/ ٥. ومن هنا إلى بداية ترجمة معاذ بن جبل ليس في (ك).

(٥) كذا، والذي في الأغاني ١٣/ ٢٠٠، والاستيعاب (١٨٤٦)، وجمهرة ابن حزم ٢٦٨، وتاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٤٢٦، والإصابة ٢/ ٢٥٥ : عامر بن غيلان بن سلمة بن معتب.

وبلغ الخبرُ عامراً فقال: والله لا يَراني غَيْلان أبداً، وخرج عامر وعُمارة أخوه إلى الشام مُجاهِدين، فمات عامر بطاعون عَمْواس في حياة أبيه، وأسلم غَيْلان، وقدم المدينة، رحمه الله تعالى.

عامر بن مالك

أخو سعد بن أبي وَقّاص لأَبَويْه، من الطبقة الثانية من المهاجرين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، ولَقي من أُمّه حَمْنَة بنت سفيان بن أُميَّة أَذًى، آلت لا تَستَظِلُّ بظِلٍّ، ولا تَأكلُ طعاماً، ولا تَشرب شراباً حتى يعود عامر إلى الكُفر، واجتمع عليها الناس، وأقبل سعد بنُ أبي وَقّاص ﷺ، فرأى الناس مُجتمعين عليها، قال: مالَك؟ فقالت: حلفتُ على كذا وكذا، فقال سعد ﷺ: يا أُمّه، عليَّ فاحْلِفي، إنك لا تَستَظِلّي بظِلٍّ، ولا تَأكُلي طعاماً، ولا تشربي شَراباً حتى تَرَيْ مَقعدَك من النار، فقالت: إنما حلفتُ على ابني البَرّ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾الآية [لقمان: ١٥].

شهد عامر أُحداً، وكُنيتُه أبو صفوان، وتُوفّي بطاعون عَمْواس، وقيل باليرموك، وقيل بأَجْنادين، وليس له زوجة، رحمه الله تعالى[(١)].

عُمير بن عديّ

ابن خَرشَة بن أُميَّة بن عامر بن خَطْمة، أسلم قديماً، وكان ضَريراً، وهو الذي قتل عَصْماء بنت مَروان اليهوديّة، كانت تُؤذي رسول الله ﷺ، وتُحرِّض عليه، وتقول الأشعار، فلما غاب رسول الله ﷺ ببدر؛ نَذر عُمير[(٢)] إن عاد رسول الله ﷺ سالماً أن يقتُل عصماء، فلما عاد رسول الله ﷺ من بدر؛ أتاها عُمير نِصفَ الليل، فقَتلَها، وكانت وَفاتُه بالمدينة، ﷺ[(٣)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١١٥، والاستيعاب (١٨٢٠)، وتاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٤٣٥، والتبيين ٢٩١، والإصابة ٢/ ٢٥٧.

(٢) في (أ) و(خ): فلما غاب رسول الله ﷺ نذر زيد بن عمير، والمثبت من طبقات ابن سعد ٤/ ٣١٧، والمنتظم ٤/ ٢٦٣.

(٣) انظر في ترجمته إضافة إلى ما سبق الاستيعاب (١٧٢٨)، والاستبصار ٢٦٨، والإصابة ٣/ ٣٣.

الفَضْل بن العبّاس

ابن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه، كُنيتُه أبو محمد، وقيل: أبو العبّاس، من الطبقة الثانية من المهاجرين، وأمُّه لُبابة الكُبرى بنت الحارث بن حَزْن الهِلاليّة، أُخت[1] ميمونة زوج النبي ﷺ.

وكان أَسَنَّ وَلد العباس، وبه كان يُكنى، وكان رجلاً على عهد رسول الله ﷺ، وغزا معه عامَ الفتح ويومَ حُنين، وثَبتَ يومئذٍ.

وكان جَميلاً، فكان يُقال: من أراد الجَمَالَ والسَّخاءَ والفِقهَ فلْيَأتِ دارَ العباس، فالجمال للفضْل، والسَّخاءُ [لعُبيد الله، والفقه] لعبد الله.

وشهد حَجّة الوداع، وأَرْدَفَه رسول الله ﷺ من جَمْعٍ إلى مِنًى، فكان يُقال له: رديفَ رسول الله ﷺ، وشهد غسلَ رسول الله ﷺ.

وكان صالحاً، زاهداً، عابداً، خرج إلى الشام مُجاهداً، فتُوفّي بطاعون عَمْواس.

وكان إذا نزل مَنزلاً يُرْخي عِنان فرسه ويُطيل لها فتَرعى، وهو أوَّلُ مَن فعل ذلك بالشام.

قال أبو علاقة: حضرتُ الفَضْلَ وقد نال الطَّاعون من الناس، فقلتُ: بأبي أنت وأُمّي، لو انتقلتَ إلى مكان كذا وكذا، فقال: والله ما أخافُ أن يسبقَ أجلي، ولا أُحاذر أن يَغلط بي ملكُ الموتُ، إنه لَبَصيرٌ بأهل كلِّ بلَد. أسند الحديث عن رسول الله ﷺ[2].

أبو مالك الأشعَري

من الطبقة الثالثة، أسلم، وصحب رسول الله ﷺ، وشهد فتحَ مِصر، طُعن هو وأبو عبيدة رضي الله عنهما في يوم واحد، وعَقدَ له رسول الله ﷺ على خيل الطَّلَب، وأمره أن يَطلُبَ هوازن حين انهزمت[3].

---

(١) في (أ) و(خ): ابنة، وهو خطأ.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٥٠ و ٩/ ٤٠٣، والاستيعاب (٢٠٨٣)، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٦٧، والمنتظم ٤/ ٢٦٣، والتبيين ١٥٥، والإصابة ٣/ ٢٠٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٧٥ و ٩/ ٤٠٣.

فصل وفيها تُوفّي

معاذ بن جَبَل

ابن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن سعد بن عليّ بن أسد بن سارِدة بن يَزيد بن جُشَم بن الخَزْرَج، وكُنيتُه أبو عبد الرحمن، وأمّه هند بنت سهل [من بني] رِفاعة، من جُهينة.

ومعاذ من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العَقَبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والخندق، والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وأسلم وهو ابن ثماني عشرة سنةً، وقيل: ابن عشرين.

وكان يكسِرُ أصنامَ بني سَلِمة، وأردفَه رسول الله ﷺ وراءه، ومشى في رِكابه لمّا شيَّعه إلى اليمن ومعاذ راكبٌ، وقد ذكرناه في سنة تسع. وكان يُفتي بالمدينة في حياةِ رسول الله ﷺ وأبي بكر، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين ابن مسعود.

وقال ابن سعد: شهد مُعاذ بدراً وهو ابن عِشرين أو إحدى وعشرين سنةً.

وخرج إلى اليمنِ بعد غَزاة تبوك وشهدها، وخرج إلى اليمن وهو ابن ثمانٍ وعِشرين سنةً[١].

ذكر صفته: قال ابن سعدٍ، عن الواقدي، عن أشياخٍ له قالوا: كان معاذ طُوالاً، أبيض، حَسَنَ الثغْرِ، مجموعَ الحاجبين، أكْحَلَ العينين، برّاقَ الثنايا، جَعْداً، قَطَطاً[٢].

وقال ابن مسعود[٣]: كان يُسمّى القانتَ والخاشِعَ.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أبي مُسلم الخَولاني قال: دخلتُ مسجدَ حمص، فإذا فيه نحوٌ من ثلاثين كَهْلاً من أصحابِ رسول الله ﷺ، وإذا فيهم شابٌّ أكحلُ العينين، برّاقُ الثَّنايا، ساكتٌ لا يتكلّم، فإذا امترَى القومُ في شيءٍ أقبلوا عليه فسألوه، فقلتُ لجَليسي: مَن هذا؟ قال: معاذ بن جبل[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٠ و ٩/ ٣٩١.

(٢) الطبقات ٣/ ٥٤٥ و ٩/ ٣٩٣.

(٣) من قوله: وقال ابن سعد شهد معاذ.. إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٥ و ٩/ ٣٩٢ـ٣٩٣.

ثم تفرقوا، فلما كان الغد جاء معاذ، فصلّى إلى سارية، فصليتُ عنده، فلما انصرف من صلاته جلستُ إليه وقلت: والله إني أُحبُّك لغير دنيا أرجوها منك، ولا لقرابةٍ بيني وبينك، قال: فلأيِّ شيءٍ، قلتُ: لله عز وجل، فقال أَبشِر إن كنتَ صادقاً، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المتحابُّون في الله في ظِلِّ العرش، يوم لا ظلَّ إلا ظِلُّه، يَغبطهم بمكانهم النبيُّون والشهداء».

ثم خرجتُ فلقيتُ عُبادةَ بنَ الصَّامت، فحدَّثتُه بالذي حدَّثني به معاذ، فقال عُبادة: سمعتُ رسول الله ﷺ يروي عن ربِّه تعالى أنه قال: «حقَّت محبَّتي للمتحابِّين [فيَّ]، والمتناصِحين فيّ، والمتزاوِرين فيَّ، والمتباذِلين فيَّ، هم على مَنابرَ من نور، يَغبطُهم النبيُّون والصدِّيقون»(١).

وقال أبو بَحريَّة [بن] قُطَيْب السَّكوني: دخلتُ مسجد حمص، فإذا أنا بفتًى جَعْدٍ قَطَطٍ، حوله الناس، فإذا تكلّم كأنما يخرج من فِيه نورٌ ولُؤلؤ، فقلتُ: مَن هذا؟ قالوا: مُعاذ بن جَبَل(٢).

ذكر زهده وورعه وتعبُّده وجُوده وقضاءِ دَينه وسَخائه: قال أبو نعيم بإسناده عن عبد الرحمن بن سعيد بن يَربوع، عن مالكٍ: أن عمر بن الخطاب أرسل بأربع مئة دينارٍ إلى أبي عُبيدة، وقال للغُلام: تَلَهَّ بالبيتِ ساعةً، وانظُر ماذا يصنعُ؟ فجاء الغلامُ فقال لأبي عبيدة: يقول لك أميرُ المؤمنين: اجعلْ هذه في بعضِ حاجتك، فقال: وَصله الله ورَحِمَه، ثم قال: يا جاريةُ، اذهبي بهذه السبعةِ إلى فُلانٍ، وبهذه الخمسةِ إلى فُلانٍ، حتى أنفدَ الجميع، فرجع الغُلامُ إلى عمرَ فأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلَها لمعاذِ بن جَبل، وقال للغُلام: اذهب بها إلى مُعاذٍ، وتلَهَّ ساعةً حتى تنظرَ ما يصنعُ بها؟ فذهب بها إليه وقال: إن أميرَ المؤمنين يقول لك: اجعل هذه في بعضِ حاجتك، فقال: رَحمَه الله ووَصله، ثم قال: تعالي يا جاريةُ، اذهبي إلى بيت فُلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأةُ معاذٍ فقالت: ونحنُ واللهِ مساكين فأعطِنا، ولم يبق في الخِرْقةِ إلّا ديناران، فدحا بهما إليها، فرجع الغلامُ إلى عمر فأخبره، فقال: إنهم إخوةٌ بعضُهم من بعض.

---

(١) تاريخ دمشق ٥٨/ ٤٢٦ (الفكر)، وأخرجه أحمد (٢٢٠٨٠).

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٣١، ومن قوله: ثم تفرقوا فلما كان الغد.. إلى هنا ليس في (ك).

وقال أبو نُعيم بإسناده عن يحيى بن سعيد قال: كانت تحت معاذٍ امرأتان، فإذا كان عند إحداهما لم يشربْ من بيت الأُخرى الماء، وفي روايةٍ: لم يتوضّأ من بيتِ الأُخرى، ثم تُوفِّيتا في الطاعونِ، فدُفِنتا في حُفْرَةٍ، فأسهم بينهما؛ أيتهما تُقَدَّمُ في القبرِ؟[١]

وروى ابن سعد قال: كان معاذ يأكلُ تُفّاحةً ومعه امرأتُه، فمرَّ غُلامٌ له، فناولتْه امرأتُه تفاحةً قد عَضَّتها، فضَربها معاذ.

وحكى ابن سعدٍ عنه أنه قال: ما بَصَقتُ عن يميني منذ أسلمتُ وصحبتُ رسولَ اللهِ ﷺ.

قال: ورأى معاذ امرأتَه تَطَلَّع من رَوْزَنَةٍ فضربها[٢].

وقال أبو نعيم بإسناده قال[٣]: كان معاذ بن جبلٍ إذا تهجّد من الليلِ قال: اللهمَّ قد نامتِ العيونُ، وغارتِ النجومُ، وأنت حيٌّ قيوم، اللهمَّ طَلبي الجنَّةَ بطيءٌ وهَربي من النار ضَعيف، اللهمَّ اجعل لي عندك هُدًى، تَرُدُّه إليَّ يومَ القيامة، إنك لا تُخلِفُ الميعاد.

حديثُ قضاءِ دَيْنه: قال أبو نُعيم بإسناده عن ابن كعب بن مالك قال: كان معاذ بنُ جَبل شاباً جَميلاً سَمْحاً، من خَيْرِ شبابِ قومهِ، لا يُسْألُ شيئاً إلا أعطاه، حتى ادّان دَيناً أغلق مالَه، وكلَّم رسولَ الله ﷺ أن يُكلِّمَ غُرماءه أن يَضعوا له شيئاً ففعل، فلم يضعوا له شيئاً، فدعاه رسولُ الله ﷺ، فلم يَبْرَح حتى باع مالَه، وقسمه بين غُرمائه، فقام مُعاذٌ ولا مالَ له[٤].

قال جابر بن عبد الله: كان معاذ قد ادَّان ديناً كثيراً، فلَزمه غُرماؤه، حتى تغيَّب عنهم أياماً في بيته، فطلبه غُرماؤه وقالوا: يارسول الله، خُذْ لنا منه حقَّنا، فقال رسول الله ﷺ: «مَن يَتصدَّقُ عليه؟» فتصدَّق عليه ناس وأبى آخرون، فخَلَعه رسول الله ﷺ من ماله، وقَسمه بينهم، فأصابهم خمسةُ أسباعِ حُقوقهم، فقالوا: يا رسول الله،

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٣٧، ٢٣٤.

(٢) الأخبار الثلاثة في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٢، والرَّوزنة: الكُوَّة.

(٣) من قوله: وروى ابن سعد... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، والخبر في الحلية ١/ ٢٣٣.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٣١.

ادفَعْه لنا، فقال: «خَلُّوا عنه، فليس لكم عليه سبيل»، فانصرف معاذ إلى بني سَلِمة، فقال له قائل: يا أبا عبد الرحمن، لو سألتَ رسول الله ﷺ، فقد أصبحتَ اليوم مُعدماً، فقال: ما كنتُ لأسأَله.

ثم دعاه رسول الله ﷺ بعد يوم، فبَعثه إلى اليمن، وقال له: «لعلَّ الله يَجبُرُك ويُؤدِّي عنك دَيْنك».

فخرج إلى اليمن، فلم يَزلْ بها حتى تُوفّي رسول الله ﷺ، فوافى مُعاذ مكّة وقد حجَّ عمر رضوان الله عليه بالناس في تلك السنة، فالتقيا، فاعتنقا وبَكيا، وعزَّى كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه في رسول الله ﷺ.

ورأى عمر رضوان الله عليه معه غِلماناً، فقال له: ما هؤلاء؟

فقال: أُهدوا إليّ، فقال: اذكُرهم لأبي بكر، فقال: لا أفعل، وإنهم مالي. فرأى في تلك الليلة في المنام كأنه على شَفير النار، وعمر رضوان الله عليه آخِذٌ بحُجْزته، يَمنعه أن يقع فيها، وكان معاذ رضي الله عنه أعتقهم لما رآهم يُصلّون، ثم قضى أبو بكر رضوان الله عليه لبقيَّة غُرمائه، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لعلَّ اللهَ يَجبُرك»[(١)].

وكان معاذ رضي الله عنه يُصلّي مع رسول الله ﷺ، ثم يَرجع فيُصلّي بقومه، فأخَّر رسول الله ﷺ الصلاةَ مرَّةً، فصلَّى مُعاذ معه، ثم جاء يَؤُمُّ لقومه، فقرأ البقرة، فاعتزل رجلٌ من القوم فصلّى، فقيل: نافقتَ يا فلان، فقال: ما نافَقْتُ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: إن معاذاً يُصلِّي معك، ثم يَرجع فيؤمُّنا يا رسول الله، إنما نحن أصحابُ نَواضِح، ونعملُ بأيدينا، وإنه جاء يَؤُمُّنا، فقرأ سورةَ البقرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، أفتَّانٌ أنت؟ اقرأ باسم ربك الأعلى، والليل إذا يَغشى»[(٢)].

وقال[(٣)] عبد الله بن أحمد بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أعلمُ أمَّتي بالحلال والحرام معاذُ بنُ جبل»[(٤)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٣ـ٥٤٤.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٣٠٧)، والبخاري (٦١٠٦)، ومسلم (٤٦٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) من قوله قال جابر بن عبد الله وكان معاذ قد ادان.. إلى هنا ليس في (ك).

(٤) مسند أحمد (١٢٩٠٤).

وقال ابن مسعود ﷺ: إن معاذ بنَ جبل كان أُمّةً، قانتاً لله حَنيفاً، فقيل له: إن إبراهيم كان أُمَّةً قانتاً لله حَنيفاً، فقال: ما نسيتُ، هل تدري ما الأُمَّة وما القانِت؟ الأُمَّةُ الذي يُعلّم الخير، والقانت المطيعُ لله ولرسوله، وكان معاذ كذلك[١].

وقال شَهْر بن حَوْشَب: كان أصحابُ محمّدٍ ﷺ إذا تحدَّثوا وفيهم معاذ؛ نظروا إليه هَيبةً له[٢].

وقال هشام: كان معاذ ممَّن جمع القرآن.

وكتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن: «إني قد بعثتُ إليكم من خير أهلي، واليَ علمهم، واليَ دينهم»[٣].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ حين خرج معاذ إلى الشام: لقد أَخَلَّ خروجُه بالمدينة وأهلها [في الفقه وما كان يُفتيهم به]، ولقد كلَّمتُ أبا بكر أن يَحبِسَه لحاجة الناس، فأبى عليَّ وقال: رجلٌ أراد [وَجْهاً يريد الشهادةَ فلا أحبسه، فقلتُ: والله إن الرجل لَيُرزق] الشهادةَ وهو في بيته على فراشه[٤].

وكان معاذ ﷺ قد جمع القرآن، وقال لابنه: يا بُنيّ، إذا صلّيتَ فصلِّ صلاةَ مُوَدِّع، لا تَظنُّ أنك تَعودُ إليها أبداً، واعلم أن المؤمن يموتُ بين حَسَنتَين: حسنةٍ عملها، وحسنةٍ أخَّرها[٥].

وروى أبو نعيم، عن معاذ أنه قال: أخوفُ ما أخاف عليكم فتنةَ النساء إذا تَسوَّرْنَ الذَّهبَ، ولَبِسنَ رِياطَ الشام، وعَصْبَ اليمن، فأتعبْنَ الغنيَّ، وكلَّفْنَ الفقيرَ ما لا يجد[٦].

ذِكرُ مرضِه ووفاتِه: قال أبو نُعيم بإسناده عن طارق بن عبد الرحمن قال: وقع طاعونٌ بالشامِ فاستعر فيها، فقال الناسُ: ما هذا إلا الطُّوفانُ، إلّا أنَّه ليس بماءٍ، فبلغ

(١) أخرجه ابن سعد ٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢، وأبو نعيم ١/ ٢٣٠.
(٢) الحلية ١/ ٢٣١.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤١.
(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٠٠ وما بين معكوفين منه.
(٥) أخرجه أحمد في الزهد ٢٢٥، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٣٤.
(٦) حلية الأولياء ١/ ٢٣٦.

مُعاذاً، فقام خطيباً فقال: إنَّه قد بلغني ما تقولون، وإنّما هذه رحمةُ ربِّكم، ودعوةُ نبيّكم، وكَفْتُ الصالحين قبلَكم، ولكن خافوا ما هو أشدُّ من ذلك؛ أن يَغدُوَ الرجلُ منكم من منزلهِ لا يدري: أمؤمن هو أم منافِقٌ؟ وخافوا إمارةَ الصِّبيان[١].

وروى ابنُ سعدٍ قال: لمّا قال معاذ: اللهمَّ آتِ آل مُعاذٍ نَصيبَهم من هذه الرحمةِ طُعِن ابناه، فقال: كيف تَجِدانِكما؟ قالا: يا أبانا ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[آل عمران: ٦٠]، قال: وأنا ستَجدانِي إن شاء الله من الصابرين، ثم طُعِنت امرأتاه فهلكتا[٢]، وطُعِنَ هو في إبهامه فجعل يمصُّها بفيه ويقول: اللهمَّ إنَّها صغيرةٌ فبارك فيها، فإنك تُبارك في الصغير، حتى هلك.

وروى أبو نُعيم أنه كان كُلَّما أفاق ـ وكان شديدَ النَّزْعِ ـ فتح عينيه وقال: اخنُقْ خَنْقَك، فوَعِزَّتِك إنك تَعلم أني أُحبُّك، وأنَّ قلبي يُحبُّك[٣].

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن عَمرو بن قيس، عمَّن حدَّثه، عن معاذٍ أنَّه لما احتُضِرَ قال: انظروا هل أصبحنا؟ قالوا: لم نُصْبِح، ثم قيل له: قد أصبحتَ، فقال: أعوذُ باللهِ من ليلةٍ صباحُها النار، مَرْحباً بالموتِ مرحباً، زائرٌ مُغِبٌّ حبيب جاء على فاقةٍ، لا أفلحَ من نَدِم، اللهمَّ إني قد كُنتُ أخافُك وأنا اليومَ أرجوك، اللهمَّ إنك تعلمُ أني لم أكُن أُحبُّ الدنيا وطولَ البقاء فيها لكَرْي الأنهار، وغرسِ الأشجارِ، ولكن للظمأ في الهواجرِ، ومكابَدَةِ الساعات، ومُزاحمةِ العلماء بالرُّكَبِ عند حِلَقِ الذكْر[٤]. ولم يبق من آل معاذ من الجمعة إلى الجمعة أحد.

وقال ابن سعدٍ بإسناده قال: وحدثنا إسحاقُ بنُ خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن جدِّه قال: شهد معاذٌ بَدْراً وهو ابنُ عشرين، أو إحدى وعشرين سنةً، وخرج إلى اليمن بعد أن غزا رسولُ الله تبوكاً وهو ابنُ ثمانٍ وعشرين سنةً، وتُوفي في طاعون عَمْواس بالشام بناحية الأُردُن سنة ثماني عشرة وهو ابنُ ثمانٍ وثلاثين سنةً، وليس له عَقِبٌ.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٤٠ . والكفت: الضمُّ والقبضُ.

(٢) من قوله: ذكر مرضه ووفاته... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، والخبر في الطبقات ٣/ ٥٤٤ و٩/ ٣٩٢ .

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٤٠ .

(٤) الزهد ٢٢٦ ، وحلية الأولياء ١/ ٢٣٩ .

وقال ابن سعد بإسناده عن سعيد بن المُسَيّب قال: رُفع عيسى وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنةً، ومات مُعاذ وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنةً[١]. وقيل: كان له ستٌّ وثلاثون سنةً. وقيل: أربعٌ وثلاثون[٢].

أسند مُعاذٌ عن رسولِ الله ﷺ الحديث. فالمشهورُ عنه أنَّه رُوي عنه مئةُ حديثٍ وسبعةٌ وخمسون حديثاً.

أُخرج له في «الصحيحين» ستَّةُ أحاديث، اتّفقا على حديثين، وأخرج البخاري ثلاثةً، وانفرد مسلم بحديث[٣]، وأخرج له أحمد سبعةً وخمسين حديثاً[٤].

منها ما روى أنسٌ، عن معاذ[٥] حدَّثه أن النبي ﷺ قال له: «يا مُعاذَ بن جَبل» قال: لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا رسولَ الله، قال: «لا يَشهدُ عبدٌ أن لا إله إلّا الله ثم يموتُ على ذلك إلّا دخل الجنَّةَ»، قال: فقلتُ: ألا أُحَدِّثُ الناس؟ قال: «لا، إني أخشى أن يَتّكِلوا». أخرجاه في «الصّحيحين»[٦].

والحديث[٧] الثاني المتَّفقُ عليه أيضاً لمّا بعثه إلى اليمن وفي آخرِه: «واتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٨].

وقال أحمد بإسناده عن يزيد بن قُطَيب السَّكوني ـ وكُنيتُه أبو بَحريَّة ـ قال: سمعتُ معاذَ بنَ جبل يقول: قال رسول الله ﷺ: «الملْحَمة العُظْمى، وفتحُ قُسطَنْطِينيَّة، وخروج الدَّجال في تسعةِ أشهر»[٩].

وقال أحمد بإسناده عن الوالبيّ صديق لمُعاذٍ قال: قال معاذ: سمعتُ رسول الله

---

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٥ـ٥٦٤ و٩/ ٣٩٣.

(٢) من قوله: وقال ابن سعد ـ قبل سبعة أسطر ـ إلى هنا ليس في (خ) و(أ).

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ٤٠٠.

(٤) من قوله: فالمشهور عنه... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٥) في (أ) و(خ): ومن مسانيده عن أنس عن معاذ.

(٦) صحيح البخاري (١٢٨)، وصحيح مسلم (٣٢).

(٧) من هنا إلى نهاية الترجمة ليس في (أ) و(خ).

(٨) صحيح البخاري (٢٤٤٨)، وصحيح مسلم (١٩).

(٩) مسند أحمد (٢٢٠٤٥) وفيه: عن يزيد بن قُطيب السكوني، عن أبي بحريّة، في سبعة أشهر.

(١٠) مسند أحمد (٢٢٠٧٧)، والحديث فيه عن الحسن، عن معاذ، وحديث الوالبي عن معاذ هو الحديث

ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾[الواقعة: ٢٧ـ٤١] فقبض قبضتين فقال: «هذه في الجنةِ ولا أُبالي، وهذه في النار ولا أُبالي»[(١)].

وقال أحمد بإسناده عن مُعاذِ بن جبل قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُؤذي امرأةٌ زوجَها في الدنيا إلا قالت زوجتُه من الحورِ العين: لا تُؤذيه قاتلك الله، فإنَّما هو عندك دَخيل يُوشِكُ أن يفارِقَك إلينا»[(٢)]. الدَّخيل: الضَّيف.

يزيد بن أبي سفيان بن حرب

كُنيته أبو خالد، وأمُّه زينب بنت نَوفل، من بني فراس بن غَنْم[(٣)]، وهو من الطبقة الرابعة ممّن أسلم يوم الفتح، وكان أفضلَ أولاد أبي سُفيان، ويقال له: زيد الخير.

شهد مع النبي ﷺ حُنيناً، وأعطاه مئة من الإبل، وأربعين أُوقيّة، ولم يزل رسول الله ﷺ يَذكره بخير، واستعمله على صدقات بني فراس بن غَنْم؛ لأن يزيد منهم[(٤)].

وولاه أبو بكر رضوان الله عليه الشام، وخرج معه ماشياً يُودِّعه ويُوَجِّهُهُ وقال: إنك شاب تُذكر بخير، وقد أردتُ أن أختبرَك، فإن أحسنتَ زدتُك، وإن أسأتَ عزلتُك، وأوصاه بأبي عُبيدة ومعاذ خيراً، فقال: يا خليفة رسول الله أوصِهما بي.

وأقام أميراً على الشام حين مات أبو بكر رضوان الله عليه، وولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فولّى أبا عبيدة على الجيوش، وولّى يزيدَ بنَ أبي سفيان دمشق، فأقام عليها حتى مات بعَمْواس، واستَخلف أخاه معاوية، فأقرَّه عمر رضوان الله عليه.

ولما مات يَزيد جزع عمر رضوان الله عليه جزعاً شديداً ونَعاه إلى أبيْه، فقال: عند الله أحتسبُ يزيد، فمَن أَمَّرتَ بعدَه، فقال: معاوية، قال: وصلتْك [رحم][(٥)].

السابق لهذا في مسند أحمد (٢٢٠٧٦)، وانظر أطراف المسند لابن حجر ٥/ ٣٢٠.

(١) مسند أحمد (٢٢١٠١). وانظر في ترجمة معاذ: المعارف ٢٥٤، والاستيعاب (٢٢٧٠)، والمنتظم ٢٦٥، والاستبصار ١٣٦، والسير ١/ ٤٤٣

(٢) في (أ) و(خ): زينب بنت يزيد من بني قريش بن غنم، وهو خطأ، انظر طبقات ابن سعد ٦/ ١٣ و٩/ ٤٠٩ وتاريخ دمشق ١٨/ ٣٠٦ (مخطوط)، والسير ١/ ٣٢٩ والمصادر في حاشيته، والإصابة ٣/ ٦٥٦.

(٣) فهم أخواله.

(٤) تاريخ دمشق ١٨/ ٣١٣ وما بين معكوفين منه، وترجمة يزيد ليست في (ك).